خطورة الكفر والشرك بالله تعالى على إيمان العبد- سورة الحج نموذجا

سرمد محمود صالح الخزرجي

إشراف د. قاسم محمد بركة

جامعة الجنان كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التفسير وعلوم القرآن

العام الجامعي

٢٠٢٣م- ١٤٤٥ه

المبحث الأول: مفهوم خطورة الشرك والكفر بالله تعالى على إيمان العبد

ورد في القرآن الكريم التحذير من الشرك والكفر بالله تعالى, وقد تنوع الخطاب القرآني في ذللك بصيغ متعددة، ببيان خطورة الشرك والكفر والتحذير من الوقوع فيه، وكذلك بيان حكم المشرك بالله تعالى وما ينتظره من العذاب الأليم في الآخرة, وفي سورة الحج ورد التحذير في العديد من آياتها.

المطلب الأول: مفهوم الشرك والكفر في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: الآيات من سورة الحج التي تكلمت عن خطورة الكفر والشرك بالله

أولًا: قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴿١٧﴾﴾[1], يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين، ومن سواهم من اليهود والصابئين والنصارى والمجوس، والذين أشركوا فعبدوا غير الله معه, فالله تعالى ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ويحكم بينهم بالعدل، فيدخل من آمن به الجنة، ومن كفر به النار، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم، وما تكن ضمائرهم[2].**ثانيًا:** قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴿٢٥﴾﴾[3], إن الذين كفروا بالله، ويصرفون غيرهم عن الدخول في الإسلام، ويصدون الناس عن المسجد الحرام، مثل ما فعل المشركون عام الحديبية فسوف نذيقهم العذاب الأليم، وكذلك الذين يصدون الناس عن المسجد الذي جعلناه قبلة للناس في صلاتهم ومنسكًا لهم من مناسك الحج والعمرة، يستوي فيه المكي المقيم فيه، والطارئ فيه من غير أهل مكة، ومن يرد فيه ميلًا عن الحق بالوقوع بشيء من المعاصي عامدًا نذقه من عذاب مؤلم شديد[4].**ثالثًا:** قال تعالى:﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴿٣٠﴾حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴿٣١﴾﴾[5], يقول تعالى هذا الذي أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك، وما يلقى عليها من الثواب الجزيل، ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ ﴾ أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه، ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ أي فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما أن فعل الطاعات فيه ثواب كثير وأجر جزيل، كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات. قال مجاهد في قوله: ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ ﴾ قال: الحرمات مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها[6]، وقوله: ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ أي أحللنا لكم جميع الأنعام، وقوله: ﴿ إلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ أي من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ لغير الله به والمنخنقة الآية[7]، وقوله: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، أي اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، وقرن الشرك بالله بقول الزور، كقوله:﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴿٣٣﴾﴾[8], ومنه شهادة الزور. وفي الصحيحين عن أبي بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين, وكان متكئاً فجلس, فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور, فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت"[9], وعن خريم بن فاتك الأسدي[10], قال: صلى رسول الله ﷺ الصبح فلما انصرف قام قائماً، فقال: (عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عزَّ وجلَّ)، ثم تلا هذه الآية:﴿ حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ }[11]، وقوله: ﴿ حُنَفَاء لِلَّهِ} : أي مخلصين له الدين منحرفين عن الباطل قصداً إلى الحق، ولهذا قال: { غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ ، ثم ضرب للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى، فقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء﴾ أي سقط منها، { فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ } أي تقطعه الطيور في الهواء، ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيق﴾ أي بعيد، مهلك لمن هوى فيه، ولهذا جاء في حديث البراء: أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء، فلا تفتح له أبواب السماء، بل تطرح روحه طرحاً من هناك، ثم قرأ هذه الآية:﴿ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيق ﴾[12].**رابعًا:** قال تعالى:﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴿٥٥﴾ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴿٥٦﴾وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴿٥٧﴾﴾[13],﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ، يقولون: ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها. وقال ابن جريج:" منه " أي: من القرآن[14], وقيل: من الدين، وهو الصراط المستقيم. (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) يعني: القيامة. وقيل: الموت،(أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيم) قال الضحاك وعكرمة: عذاب يوم لا ليلة له[15] والأكثرون على أن اليوم العقيم يوم بدر، لأنه ذكر الساعة من قبل وهو

يوم القيامة. وسمي يوم بدر عقيما لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير، كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، سحاب ولا مطر، والعقم في اللغة: المنع، يقال: رجل عقيم إذا منع من الولد, وقيل: لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وقال ابن جريج: لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل حتى قتلوا قبل المساء, (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ) يعني يوم القيامة، (لِّلَّهِ) وحده من غير منازع، (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) ثم بين الحكم، فقال تعالى:(فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيم * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِين)[١٦].

خامسًا: قال تعالى:﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ۝٧٢﴾[17], وإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا التي هي آيات الله الجليلة، المستلزمة لبيان الحق من الباطل، لم يلتفتوا إليها، ولم يرفعوا بها رأسا، بل تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ من بغضها وكراهتها، ترى وجوههم عابسة، وأبشارهم مكفهرة، يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا أي: يكادون يوقعون بهم القتل والضرب البليغ، من شدة بغضهم وبغض الحق وعداوته، فهذه الحالة من الكفار بئس الحالة، وشرها بئس الشر، ولكن ثم ما هو شر منها، حالتهم التي يؤولون إليها، فلهذا قال:﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِير ﴾ فهذه شرها طويل عريض، ومكروه وآلامها تزداد على الدوام[١٨]وقد تضمنت سورة الحج جملة من الآيات الدالة على التعريف بخطورة الشرك والكفر بالله تعالى وهي كما يأتي:

١–خطاب الناس بأمرهم أن يتقوا الله، ويخشوا يوم الجزاء وأهواله، فهو يوم عظيم تشيب لهوله الوِلْدان، وتضع كل ذات حَمْلٍ حملهاخوفاً ورعباً.

٢–الاستدلال على نفي الشرك، وخطاب المشركين بأن يقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله تعالى بالألوهية، وعن المجادلة في ذلك اتباعاً لوساوس الشياطين، وأن الشياطين لا تغني عنهم شيئاً، ولا ينصرونهم في الدنيا ولا في الآخرة.

٣–بيان عقم جدال المشركين في الوحدانية فهم لا يستندون إلى علم، وأنهم يعرضون عن الحُجة؛ ليضلوا الناس عن سبيل الله, وبيان أن المشركين يرتابون في البعث، وهو ثابت لا ريب فيه، وكيف يرتابون فيه بعلة استحالة الإحياء بعد الإماتة، ولا ينظرون أن الله أوجد الإنسان من تراب، ثم من نطفة، ثم طوره أطواراً.

٤–أن الله ينزل الماء من السماء على الأرض الميتة، فتحيا وتُخرج من أصناف النبات، فالله هو القادر على كل ذلك، فهو يحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير، فعال لما يريد, وذكر أن مجادلة المشركين بإنكار البعث صادرة عن جهالة وتكبر عن الامتثال لتعاليم الرسول محمد ﷺ. ٥–وصف المشركين بأنهم في تردد من أمرهم في اتباع دين الإسلام، وكذلك التعريض بالمشركين بتكبرهم عن سنة إبراهيم عليه السلام، الذي ينتمون إليه، ويحسبون أنهم حماة دينه، وأمناء بيته، وهم يخالفونه في أصل الدين وأحكامه وما يتصل به من أوامر الله ونواهيه.

٦–تذكير المشركين بما منَّ الله عليهم في مشروعية الحج من المنافع فكفروا نعمته, وتشبيههم في تلقي دعوة الإسلام بالأمم البائدة، الذين تلقوا دعوة الرسل بالإعراض والكفر، فحل بهم العذاب الأليم.

المبحث الثاني: أقوال المفسرين في خطورة الشرك والكفر بالله تعالى من خلال آيات من سورة الحج.

وقع في سورة الحج هذا التحذير في العديد من الآيات، وفيما يلي سنعرض لبيان قبح الشرك والكفر بالله تعالى من خلال تتبع الآيات الواردة في هذا الشأن، في سورة الحج.أولًا: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد﴾[١٩]قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: إن الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف، والذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام، والذين هادوا، وهم اليهود والصابئون والنصارى والمجوس الذي عظموا النيران وخدموها، وبين الذين آمنوا بالله ورسله إلى الله مرجعهم ومصيرهم، وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء، وفصلُهُ بينهم إدخالُه النار الأحزاب كلهم، والجنة المؤمنين به وبرسله، فذلك هو الفصل من الله بينهم"[٢٠].وقال ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين ومن سواهم من اليهود والصابئين، والنصارى والمجوس والذين أشركوا فعبدوا مع الله غيره، فإنه تعالى: يفصل بينهم يوم القيامة ويحكم بينهم بالعدل، فيدخل من آمن به الجنة، ومن كفر به النار، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم وما تكن ضمائرهم"[٢١].

"فالله– سبحانه وتعالى– يهدى من يريد لأنه يستحق الهداية على حسب ما اطلع على نفسه وميله في الأزل، بحيث لو ترك وحده لاختار ما قدره الله له، وهو يحكم بين الخلائق كلها بالعدل والقسطاس المستقيم فلا يظلم نفسا شيئا، وإن كان مثقال حبة من خردل أتى الله بها يوم القيامة وكفى بالله حسيبًا ورقيبا على أفعال العباد.فالذين آمنوا بالله وكتبه واليوم الآخر، وهم المسلمون الموحدون المؤمنون بالنبي محمد صلّى الله عليه وسلّم وبإخوانه الأنبياء جميعا ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[٢٢] والذين هادوا وهم أتباع موسى– عليه السلام، ولو كانوا أتباعا له حقيقة، لم يغيروا ويحرفوا التوراةُ لآمنوا كذلك بعيسى ومحمد صلّى الله عليهما وسلم، والصابئون الخارجون عن حدود الدين العابدون للكواكب والنجوم،

والنصارى من أتباع عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، ولو كانوا كذلك لآمنوا بمحمد خاتم الأنبياء والرسل، فدينه ينسخ كل ما تقدمه، وفي التوراة والإنجيل البشارة الصحيحة بالنبي محمد صلّى الله عليه وسلم، والمجوس عباد النار القائلون بوجود إله للخير وآخر للشر، وللعالم أصلان هما النور والظلام.هؤلاء جميعا يفصل الله بينهم بحكمه العدل، ويقضى بينهم يوم القيامة، فلا فضل لأمة على أمة، ولا لعنصر على عنصر إلا بالتقوى ولا غرابة في ذلك إن الله على كل شيء قدير، وفي الكون شهيد ورقيب"[٢٣].ثانيًا: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٤].قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا توحيد الله، وكذّبوا رسله وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه، وعن المسجد الحرام الذي جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخصص منها بعضا دون بعض; ﴿سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ يقول: معتدل في الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام، وقضاء نسكه به، والنزول فيه حيث شاء العاكف فيه، وهو المقيم به، والباد: وهو المنتاب إليه من غيره"[٢٥].وقال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى منكرا على الكفار في صدهم المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام وقضاء مناسكهم فيه ودعواهم أنهم أولياؤه، ومن صفتهم مع كفرهم أنهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام، أي: ويصدون عن المسجد الحرام من أراده من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر"[٢٦]."إن الذين كفروا بالله ورسوله، وهم يصدون عن سبيل الله صدا دائما مستمرا، ولا شك أن المشركين صدوا الناس عن سبيل الله بما عملوا من أعمال ضد المسلمين في مكة وغيرها.وهم يصدون عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام، وقد صدوا رسول الله عن المسجد الحرام عام الحديبية، وقد جعله الله للناس جميعا لصلاتهم وطوافهم وعبادتهم، والناس من حيث كونهم ناسا، العاكف فيه والبادي سواء، وبهذا يعلم أن المسجد الحرام مكان عالمي عام للمسلمين جميعا يستوي فيه المقيم والمسافر، ومع هذا فقد صدوا النبي صلّى الله عليه وسلّم اصحابه عن دخول المسجد الحرام وأداء العمرة بعد أن أخرجوه منا بلده الحبيب مكة مكرها.ومن يرد فيه مكروها حالة كونه ملحدا ظالما، أي: مائلا عن الحق والعدل زائغا عن الهدى والاستقامة بأي صورة كانت، يكون جزاؤه أن يذيقه الله العذاب الأليم، وإذا كان هذا هو حكم الله فيمن يرتكب المعاصي في المسجد الحرام، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، فما بال من يصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، ويكفر بالله فيه؟ إنه لظلم عظيم"[٢٧].ثالثًا: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٢٨].قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره بقوله (ذَلِكَ) هذا الذي أمر به من قضاء التفث والوفاء بالنذور، والطواف بالبيت العتيق، هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس في حجكم ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ يقول: ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه تعظيما منه لحدود الله أن يواقعها وحُرمَه أن يستحلها، فهو خير له عند ربه في الآخرة في موقف الحساب.وقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ قال: الحُرْمة: مكة والحجّ والعُمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها"[٢٩].وقال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: هذا الذي أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك وما لفاعلها من الثواب الجزيل، ومن يعظم حرمات الله أي ومن يجتنب معاصيه، ومحارمه ويكون ارتكابها عظيما في نفسه فهو خير له عند ربه، أي فله على ذلك خير كثير، وثواب جزيل، فكما أنّ على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل، كذلك على تلك المحرمات واجتناب المحظورات"[٣٠].ومعنى الآية: "ومن يعظم حرمات الله، ويعمل على أنها واجبة الحفظ والمراعاة، ويقوم بحفظها ورعايتها وعدم انتهاكها- وحرمات الله هي مالا يحل هتكه، وجميع ما كلفنا الله- تعالى- على هذه الصفة من مناسك الحج وغيرها- فالتعظيم خير له عند ربه من التهاون في شيء منها، وليس المعنى على التفصيل بين التعظيم وغيره بل المراد الوعد الصادق بالخير.والحج ركن جمع بين العبادة البدنية والمالية، ففيه نسك وذبح وإهداء، ولذا ناسب أن يبين ما يحل ذبحه وأكل لحمه وما لا يحل منها فقال:﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ﴾ أن تذبحوها وتأكلوا لحمها ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ في الكتاب من المحرمات كالتي ذكرت في سورة المائدة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ [سورة المائدة آية ٣].والمعنى أن الله قد أحل لكم الأنعام فكلوها، وحرم عليكم الميتة والموقوذة إلى آخر ما هو معروف فحافظوا على الحدود، وإياكم أن تحرموا مما أحل الله شيئا كتحريم عبدة الأوثان البحيرة. والسائبة، والوصيلة وإياكم أن تحلوا شيئا مما حرمه الله كما أحلوا الموقوذة والنطيحة وغير ذلك.ولما حث على تعظيم حرمات الله ببيان أن مراعاتها وامتثال الأمر فيها خير لصاحبها أتبعه بالأمر باجتناب الأوثان وقول الزور، وضرورة الاستقامة على جادة الصواب في كل أوامر الله ونواهيه.إذ توحيد الله- سبحانه- ونفى الشركاء عنه، وصدق القول، والبعد عن الزور كل ذلك من أعظم الحرمات وأهمها.وقد جمع القرآن الشرك مع قول الزور في سلك واحد!! ولا غرابة فالشرك صورة من صور الزور إذ المشرك يزعم أن الوثن يستحق العبادة، وأنه شريك للباري، سبحانه تعالى عن ذلك علوا كبيرا.فكأنه قال اجتنبوا الرجس من الأوثان التي هي رأس الزور، وعنوان البهتان، واجتنبوا قول الزور لأنه بالغ النهاية في القبح والقذارة.[٣١]

وقد جعل الأوثان الله تعالى من الرجس، والرجس من القذارة، والطبع السليم يأنف من الأوساخ والقاذورات فالواجب على العاقل أن يباعد بينه وبين الأوثان حيث إنها رجس من عمل الشيطان، وكأن المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان.واجتنبوا قول الزور وشهادة الزور فإنه ميل عن الحق إلى الباطل قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا، فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِشْرَاكًا بِاللهِ " ثَلَاثًا، ثُمَّ قَرَأَ: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ}[٣٣][٣٢] اجتنبوا الرجس الذي هو عبادة الأوثان واجتنبوا الزور والقول به. حالة كونكم حنفاء لله، مستقيمين له، مائلين جهة الحق والعدل، غير مشركين به شيئا، ومن يشرك بالله، ويعبد غيره فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده هلاك، وهو يشبه حال من سقط من السماء فاختطفته الطيور ومزقت جسده قطعا قطعا، وابتلعته في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في مغاور بعيدة الغور لا يعرف لها قرار[٣٤]وما أبلغ تشبيه المشرك بالله بالساقط من السماء، مع الأهواء التي تنتابه ونزغات الشيطان التي تتوزعه بالطير تأكل من جسمه، ومعه الشيطان يطوح به ذات اليمين وذات الشمال في مهاوي الردى والضلال البعيدة الغور كالريح العاصف.ومن يعظم شعائر الله، وهي الهدايا لأنها من معالم الحج وتعظيمها أن يختارها سمينة غالية الثمن، فإن تعظيمها من أفعال ذوي القلوب المؤمنة المملوءة بالتقوى، والتقوى محلها القلب.لكم فيها منافع إلى أجل مسمى حيث تركبونها، وتأكلون من لبنها، وتنتفعون بأصوافها إلى أجل مسمى، وهو نحرها والتصدق بها وأكلها ... ولنا في الهدى منافع دنيوية وهي الركوب وشرب اللبن، ومنافع أخروية وهي التي يعتد الله بها وينظر إليها ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾[٣٥]"[٣٦].رابعًا: قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ * الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٣٧]. قال الطبري رحمه الله: "فتأويل الكلام إذن: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه، حتى تأتيهم الساعة بغتة فيصيروا إلى العذاب الدائم، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم له، فلا يُنظروا فيه إلى الليل ولا يؤخروا فيه إلى المساء، لكنهم يقتلون قبل المساء.[٣٨]ويقول تعالى ذكره: السلطان والمُلك إذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ولا ينازعه يومئذ منازع، وقد كان في الدنيا ملوك يُدعون بهذا الاسم ولا أحد يومئذ يدعي ملكا سواه ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: يفصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين؛ فالذين آمنوا بهذا القرآن، وبمن أنزله، ومن جاء به، وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه وحدوده وفرائضه في جنات النعيم يومئذ، والذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بآيات كتابه وتنزيله، وقالوا: ليس ذلك من عند الله، إنما هو إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم وأعانه عليه قوم آخرون، ﴿فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يقول: فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين، يعني عذاب مذلّ في جهنم"[٣٩].قال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى مخبرا عن الكفار: أنهم لا يزالون في مرية، أي: في شك وريب من هذا القرآن، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً}: بغت [القوم] أمر الله، وما أخذ الله قوما قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون"[٤٠].ومعنى الآية: "أن الله تعالى يقول لنبيه صلّى الله عليه وسلّم حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستعجلوه به تكذيبا له واستهزاء به لأنهم لا يؤمنون بيوم القيامة، ولا بقدرة الله على إيقاع العذاب. ونسوا ما حصل للأمم السابقة، ولم يعتبروا بما حصل لهؤلاء.قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم: إنما أرسلني الله إليكم نذيرًا بين يدي عذاب شديد، إنما أنا نذير بيّن الإنذار قويّ الحجة واضح، وليس عليّ حسابكم وهدايتكم، بل أمركم إلى ربكم إن شاء عجل العذاب لكم، وإن شاء أخره عنكم ليوم معلوم، لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون، وهو ربكم وإليه أمركم، وهو الفعال لما يريد، لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.فالذين آمنوا بالله وكتبه ورسله إيمانا صحيحا سليما مصحوبا بالعمل الصالح لهم مغفرة من الله ورزق كريم، وثواب عظيم، وسعادة في الدنيا والآخرة، {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [سورة النحل آية ٩٧].والذين سعوا جاهدين في إبطال آياتنا، وإطفاء نور الإسلام– وما علموا أن الله متم نوره ولو كره الكافرون– أولئك أصحاب الجحيم الملازمون لها، وهي نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، إنها عليهم مؤصدة، في عمد ممددة "[٤١].قال الشعراوي: فهم – إذن – موجودون في أمة محمد إلى أنْ تقومَ الساعة، وسنواجههم نحن كما واجههم رسول الله، وسيظل الشيطان يُلقِي في نفوس هؤلاء، ويوسوس لهم، ويوحي إلى أوليائه من الإنس والجن، ويضع العقبات والعراقيل ليصدَّ الناس عن دين الله. هذا نموذج من إلقاء الشيطان في مسألة القمة، وهي الإيمان بالله.كما يُلقِي الشيطان في مسألة الرسول، فنجد منهم مَنْ يهاجم شخصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكيف وهو الأميّ يقود أمة ويتهمونه ويخوضون في حقِّه، وفي مسألة تعدُّد زوجاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الخ مِمّا يُمثِّل عقبة في سبيل الإيمان به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونعجب لهجوم هؤلاء على رسول الله طالما هم كافرون به، إن هذا الهجوم يحمل في طياته إيماناً بأنه رسول الله، وإلا لَمَا استكثروا عليه ولَمَا انتقدوه، فلو كان شخصاً عادياً ما تعرَّض لهذه الانتقادات"[٤٢].خامسًا: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: وإذا تُتلى على مشركي

قريش العابدين من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ﴿آيَاتُنَا﴾ .يعني: آيات القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ يقول: واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ﴾ يقول: تتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان بالله من تغيرها، لسماعهم بالقرآن.وقوله: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ يقول: يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لشدّة تكرّههم أن يسمعوا القرآن ويتلى عليهم"[٤٣].وقال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما جهلوا وكفروا، وعبدوا من دون الله ما لم ينزل به سلطانا، يعني: حجة وبرهانا، كقوله: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُون ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. ولهذا قال هاهنا: ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي: ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه، وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم، بلا دليل ولا حجة، وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم؛ ولهذا توعدهم تعالى بقوله: ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِير ﴾ أي: من ناصر ينصرهم من الله، فيما يحل بهم من العذاب والنكال.ثم قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ } أي: وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج والدلائل الواضحات على توحيد الله، وأنه لا إله إلا هو، وأن رسله الكرام حق وصدق، ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي: يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل الصحيحة من القرآن، ويبسطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء! {قل} أي: يا محمد صلى الله عليه وسلم لهؤلاء. ﴿ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: النار وعذابها ونكالها أشد وأشق وأطم وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا، وعذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تنالون منهم، إن نلتم بزعمكم وإرادتكم. وقوله: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِير﴾ أي: وبئس النار منزلا ومقيلا ومرجعا وموئلا ومقاما"[٤٤].والمعنى: "أن الله المتصف بصفات الألوهية الكاملة، ولا إله إلا هو، خالق السماء والأرض، ومبدعهما لا على مثال سابق، ومولج الليل في النهار، والنهار في الليل، ومنزل الماء من السماء ومنبت الشجر والزرع والنبات في الصحراء وهو صاحب الأمر في السموات والأرض، السميع العليم، القدير الخبير، الذي سخر لكم ما في الأرض وخلقه لكم لتذللوه وتنتفعوا به، ورفع السماء وبسط الأرض وأحياكم، وهو الذي يميتكم ثم يحييكم لتأخذوا جزاءكم، ومع هذا كله فإن الإنسان لكفور مبين، ومع هذا فهم يعبدون من دون الله أصناما وأوثانا لم يتمسكوا في عبادتهم بحجة سمعية نزلت عليهم من الله، لا يكون لها سلطان عليهم، ولم يتمسكوا في عبادتهم بعلم وحجة عقلية، بل عبدوهم من دون الله عبادة ليس لها أساس، اللهم إلا التقليد الأعمى والجهل المطبق والشبُه التي هي أوهي من بيت العنكبوت.وما للظالمين أمثالهم من ولى يتولى أمرهم يوم الحساب، ولا نصير ينصرهم ويدافع عنهم، ومع هذا الجهل والضلال إذا نبهوا إلى الخير والطريق الحق، وإذا تليت عليهم آياته البينات من القرآن الكريم ظهر في وجوههم المنكر، وبدت عليها دلائل الغيظ والغضب، وامتلأت قلوبهم فجورا ونشوزا وإنكارا، يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا، ويبسطون إليهم ألسنتهم وأيديهم بالسوء"[٤٥].

المبحث الثالث: عواقب الشرك والكفر بالله تعالى على العبد في الحال والمآل.

إن الشرك بالله هو أعظم الظلم، ويترتب عليه أحكام شرعية عالية المقام على من يفعله؛ وذلك لحفظ ضرورات الدين، وإعلاءٍ لفضائل التوحيد، وتحذير الناس من عواقبه الوخيمة، وذلك نظرًا لما ينتج عنه من الخلود في الجحيم يوم القيامة، وغيره من الأمور مما سيأتي بيانه.أولًا: الشرك محبط لجميع الأعمال بالكلية: قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين ﴾[٤٦]وقال أيضًا: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُون ﴾[٤٧].وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين ﴾[٤٨].والآيات في هذا كثيرة ومتعددة لدرجة أنه من مات على الكفر ولقي الله بشركه، لا أمل له أو فرصة في مغفرة الله، مما يدل على مخاطر الشرك، وأثر الوقوع فيه.فمن مات على الشرك فلا يكون من الموعودين بالمغفرة المترتبة على مشيئة أرحم الراحمين التي وعد بها أصحاب الكبائر والموبقات ومن مات دون توبة، من هذه الأمة والذين يموتون على الشرك ليسوا ممن وعدوا بالمغفرة، بل بإرادة الرحمن الرحيم إلى جهنم، أما الوعد بالمغفرة فهو لأصحاب الذنوب والخطايا العظيمة الأخرى، والذين يموتون بغير توبة من أمة الأسلام.قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[٤٩]. وقال سبحانه: ﴿ قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[٥٠].فإن لم ينتهوا عن الكفر فلن يغفر لهم ما قد سلف، وهو مفهوم المخالفة من الآية. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقا * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا﴾[٥١].ثانيًا: تحرم عليه الجنة على المشرك ويخلد في نار جهنم.فالشرك يلزم صاحبه الخلود في النار أبداً، ويحرم عليه الجنة تحريمًا أبديا، ويدل على ذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة، بل تعتبر من الأحكام القطعية الدلالة المعلومة من الدين بالضرورة، ومن ذلك:قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّة ﴾[٥٢]وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار﴾[٥٣].ثالثًا: الشرك مبيح لدم صاحبه ولماله.وهذا حكم ثابت في الشريعة من القرآن والسنة النبوية، ويجب اتباع أحكام الشريعة الإسلامية،

ولا بد من معرفة: أن الحدود أمر موكول به فقط السلطان.قال تعالى: ﴿ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥٤].رابعًا: يحرم النكاح من المشرك أو المشركة.يقول تعالى: ﴿ وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ﴾[٥٥].يقول تعالى: ﴿ وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾[٥٦].قال ابن كثير رحمه الله: تحريم من الله، عز وجل، على عباده المؤمنين نكاح المشركات، والاستمرار معهن[٥٧].خامسًا: يحرم أكل ذبيحة المشرك.يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ ﴾[٥٨] فأهل الكتاب مستثنون من ذلك، فذبائحهم، ونساؤهم الحرائر العفيفات الطاهرات غير المحاربات، حلال لنا.ويقول سبحانه: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ ﴾[٥٩].سادسًا: من مات مشركًا فلا يغسَّل ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يستغفر له، ولا يترحم عليه. قال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[٦٠].وقال سبحانه: ﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُون ﴾[٦١].سابعًا: المشرك محروم من نعمة الأمن والهداية، التي قررها الله تعالى في كتابه للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون ﴾[٦٢]والظلم معناه هنا: الشرك، فالذين ألبسوا إيمانهم بشرك ليس لهم الأمن وليسوا بمهتدين، وهو مفهوم المخالفة من الآية.فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: " لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ {لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾"[٦٣][٦٤].وقوله سبحانه: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِين﴾[٦٥].قال ابن القيم رحمه الله: ما يقصده هو أنه عندما كان الشرك هو أعظم الظلم، وأبشع الشرور، وأبشع مكروه، فهو أبغض عند الله، وقطعت الصداقة بينهم وبين المؤمنين، وجعلتهم أعداء له سبحانه وتعالى وملائكته ورسله والمؤمنين، وسمح لأهل التوحيد بأموالهم ونسائهم وأبنائهم، وأن يأخذوهم كعبيد، وذلك لأن الشرك بالله يهضم حق الشرك وينقص من عظمة الإله[٦٦]. ثامنًا: المشرك بربه ظن به ظن السوء.كما قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[٦٧].قال ابن القيم رحمه الله: إن الشرك ملازم لانتقاص الإله سبحانه، سواء كان المشرك يعي ذلك أو لا، لذلك لا يغفره الله ويخلده في نار جهنم، اقتضاءً لكمال ربوبيته، فيلزم من الشرك انتقاص الله سبحانه[٦٨].والشرك بالله تعالى يفسد العقل، فالمشركون من أفسد الناس عقلًا، وقد قال الله فيهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٦٩].قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وقال الفوج الذي ألقي في النار للخزنة: (لَوْ كُنَّا) في الدنيا (نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ) من النذر ما جاءونا به من النصيحة، أو نعقل عنهم ما كانوا يدعوننا إليه (مَا كُنَّا) اليوم (فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) يعني: أهل النار.وقوله: (فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ) يقول: فأقرّوا بذنبهم ووحَّد الذنب، وقد أضيف إلى الجمع لأن فيه معنى فعل، فأدى الواحد عن الجمع، كما يقال: خرج عطاء الناس، وأعطية الناس (فَسُحْقًا لأصْحَابِ السَّعِيرِ) يقول: فبُعدا لأهل النار"[٧٠].

هوامش البحث

---

١) سورة الحج/ ١٧.

٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ) ط١, ١٤١٩هـ , ٥/ ٣٥٤.

٣) سورة الحج/ ٢٥.

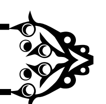
٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم: جماعة من علماء التفسير, إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية,ط٣، ١٤٣٦هـ, ١/ ٣٣٥.

٥) سورة الحج/ ٣٠- ٣١.

٦) السجستاني: غريب القرآن, أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني(ت: ٣٣٠هـ) تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران, الناشر دار قتيبة- بيروت, ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م, ص: ٢٠٠.

٧) الطبري: جامع البيان, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر, الناشر: مؤسسة الرسالة, ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م, ٨/ ١٧.

٨) سورة الأعراف/ ٣٣.



٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، برقم: (٢٦٥٤)، (٣/ ١٧٢).

١٠) هو خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو ابن الفاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة, وأبوه الأخرم يُقَالُ له فاتك، يكنى خريم بن فاتك أبا يَحْيَى وقيل: أبا أيمن بابنه أيمن بن خريم، شهد بدرا مع أخيه سبرة بن فاتك, ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب, أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) المحقق: علي محمد البجاوي, الناشر: دار الجيل، بيروت, ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م, ٢/ ٤٤٦.

١١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، برقم: (١٨٨٩٨)، (٣١/ ١٩٤).

١٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم , ٣/ ٤١٣.

١٣) سورة الحج / ٥٥ – ٥٧.

١٤) البغوي : معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي, الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت, ط١، ١٤٢٠هـ , ٣/ ٣٤٨.

١٥) البغوي : معالم التنزيل في تفسير القرآن, ٣/ ٣٤٨، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة, ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م, ١٢/ ٨٧.

١٦)البغوي : معالم التنزيل في تفسير القرآن, ١/ ٣٩٦.

17) سورة الحج/ الآية ٧٢.

١٨) ينظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن, عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق, الناشر: مؤسسة الرسالة, ط١, ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م, (ص: ٥٤٦).

١٩ سورة الحج: الآية ١٧

٢٠ أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (١٨/ ٥٨٤).

٢١ ابن كثير، (٥/ ٣٥٤).

٢٢ [سورة البقرة آية ٢٨٥].

٢٣ انظر الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ، (٢/ ٥٧٥).

٢٤ [سورة الحج: آية ٢٥]

٢٥ جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (١٨/ ٥٩٥).

٢٦ انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٠٩).

٢٧ انظر: الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، (٢/ ٥٧٩).

٢٨ [سورة الحج: آية ٣٠، ٣١].

٢٩ أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/ ٦١٧).

٣٠ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (٥/ ٤٠٩).

٣١ انظر: التفسير الواضح (ص ٥٨٥).

٣٢ [الحج: الآية ٣٠]

٣٣ أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٧٦٠٣)، (٢٩/ ١٤٥).

٣٤ التفسير الواضح (ص ٥٨٥).

٣٥ [سورة الأنفال آية ٦٧].

٣٦ الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، (٢/ ٥٨٦).

٣٧ [سورة الحج: الأيتان ٥٥ – ٥٧].

٣٨ انظر تفسير جامع البيان للطبري ٢٤٥/١٧

٣٩ أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (١٨/ ٦١٧).

٤٠ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (٥/ ٤٠٩).

٤١ الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، (٢/ ٥٨٦).

٤٢ الشعراوي، تفسير الشعراوي (١٦/ ٩٨٨٨)

٤٣ أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/ ٦٨٣).

٤٤ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (٥/ ٤٥٣).

٤٥ الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح (٢/ ٦٠٧).

٤٦ [سورة الزمر: الآية ٦٥].

٤٧ [سورة الأنعام: الآية ٨٨].

٤٨ [سورة المائدة: الآية ٥]

٤٩ [سورة النساء: الآية ٤٨].

٥٠ [الأنفال: ٣٨].

٥١ [النساء: ١٦٨، ١٦٩].

٥٢ [البينة: ٦].

٥٣ [المائدة: ٧٢].

٥٤ [التوبة: ٥].

٥٥ [البقرة: ٢٢١].

٥٦ [الممتحنة: ١٠].

٥٧ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (٨/ ٩٤).

٥٨ [الأنعام: ١٢١].

٥٩ [المائدة: ٥].

٦٠ [التوبة: ١١٣، ١١٤].

٦١ [سورة التوبة: الآية ٨٤].

٦٢ [سورة الأنعام: الآية ٨٢].

٦٣ [سورة لقمان: الآية ١٣]

٦٤ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله}، برقم: (٣٤٢٨)، (٤/ ١٦٣).

٦٥ [سورة آل عمران: الآية ١٥١].

٦٦ ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (١/ ٦٠).

٦٧ [الفتح: ٦].

٦٨ ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٦٢).

٦٩ [الملك: ١٠].

٧٠ جامع البيان للطبري (٢٣/ ٥١٠).